مؤسسة إنكي للدراسات والبحوث

Enki Foundation for Studies and Research

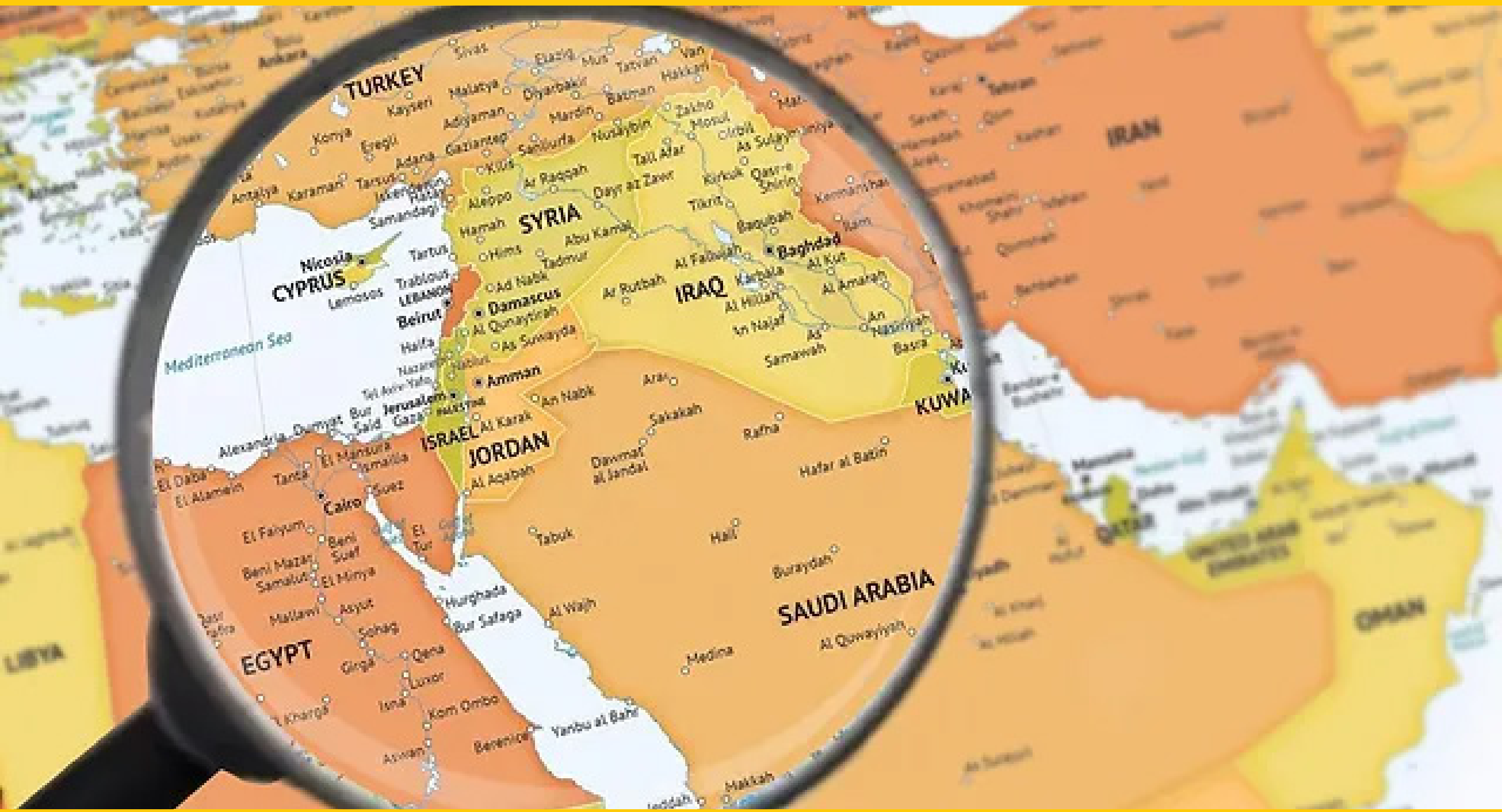

الشرق الأوسط ووهم السلام

أ.د. حميد شهاب احمد

استاذ السياسة الخارجية

اصبحت أزمات الشرق الأوسط من الازمات والعقد المستعصية على الحل، فمنذ أكثر من ٧٠ عاماً دخلت هذه المنطقة في دوامة الازمات، فما ان تنتهي واحدة حتى تدخل في اخرى، وقاسمها المشترك هو الصراع العربي - الصهيوني، فكانت هناك الحرب العربية - الصهيونية عام ١٩٤٨ والعدوان الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦ وحرب ٥ حزيران (يونيو) ١٩٦٧، ثم حرب تشرين الأول (اكتوبر) عام ١٩٧٣، ثم حرب الكيان الصهيوني على لبنان والمواجهة مع حزب الله اللبناني في تموز (يوليو) ٢٠٠٦ وهذه ابرز حروب الكيان الصهيوني مع الدول العربية، اضافة إلى أعمال عنف جرت بين الطرفين تحت عناوين عدة. ولحد ما تم ذكره، فأن الحروب محصورة بين طرفين في الشرق الأوسط هما الكيان الصهيوني من جهة من والعرب من جهة أخرى.

وعلى الرغم من اتفاقات السلام العربية مع الكيان الصهيوني، والمتمثلة بمعاهدات واتفاقيات تطبيع تهدف لانهاء النزاع العربي - الصهيوني واقامة علاقات دبلوماسية أبرزها معاهدة كامب ديفيد للسلام مع مصر عام ١٩٧٩، واتفاقية وادي عربة مع الأردن عام ١٩٩٤، كذلك اتفاقية ابراهام (إبراهيم) التي وقعت عالم ٢٠٢٠ في البيت الأبيض بين الأمارات والبحرين والكيان الصهيوني، وانضمت فيها بعد كل من المغرب والسودان إلى هذه الاتفاقية والتي كان هدفها التطبيع مع الكيان الصهيوني واقامة العلاقات الدبلوماسية معه.

إلا ان هذه المعاهدات والاتفاقيات لم تنه الصراع العربي - الصهيوني، والسبب يعود إلى رفض الكيان الصهيوني مبدأ حل الدولتين، أي إقامة دولتين مستقلتين هما دولة الكيان الصهيوني ودولة فلسطين، وكانت قد لوحت في الماضى بالقبول به، أما اليوم فهي ترفضه جملة وتفصيلاً، وعلى الرغم من تنازل الفلسطينيون عن الكثير من حقوقهم وتفجر الصراع بشكل حاد بعد احداث ٧ تشرين الاول (اكتوبر) عام ٢٠٢٣، وقيام الكيان الصهيوني بحربه على غزة تحت ذريعة القضاء على حماس وارتكب من الجرائم ما يندى لها جبين الانسانية.

وأن هذه الحرب هي حرب إبادة جماعية غيرت الكثير من قناعات الدول التي كانت في الأساس مؤيدة للكيان الصهيوني واصبحت اليوم ناقدة له. وهذه الحرب كشفت عن الوجه الحقيقي لهذا الكيان. ونحن لا نريد الدخول بتفاصيل هذه الحرب وما جرّته وراءها من عدوانٍ مروّع في جنوب لبنان، وانتهاكها لسيادة دول مثل سوريا وإيران. هذا وإنه بدلًا من تحجيم الصراع، فقد اتسعت دائرة هذا الصراع وشمل أطرافًا غير عربية فيها، وهو ما حصل في حرب على إيران، والتي سُمّيت بحرب الـ(12) يومًا في نهاية عام 2025.

هذا العدوان المدعوم من الولايات المتحدة الأمريكية، بل شاركت فيه في الأيام الأخيرة منه من خلال قصف طائراتها لمنشآت نووية إيرانية.

إذن نحن أمام صراع عميق يشمل مساحة أكبر من الشرق الأوسط، وربما يتسع في المستقبل في هذه المنطقة، بشموله دولًا أخرى غير عربية. أن الدعم الغربي وبالأخص الأمريكي للكيان الصهيوني لا حدود له، على الرغم من أن المصالح الأمريكية وحسبما تقتضي الضرورة أن تكون مع العرب وليس مع الكيان الصهيوني، كما أن العرب يدفعون للولايات المتحدة ويستثمرون بمئات المليارات من الدولارات فيها، في حين أن الولايات المتحدة على العكس هي التي تعطي المال والسلاح، وفي أغلب الأحيان بدون أي ثمن إلى الكيان الصهيوني، كما أن العرب خدموا الاستراتيجية الأمريكية وأهدافها حينما أوقفوا المد الشيوعي إلى الشرق الأوسط، سواء عن طريق الأحزاب الإسلامية أو الأحزاب القومية العربية. كما أنهم جندوا المقاتلين العرب والذين سُمّوا بـ(المجاهدين) لمقاتلة السوفييت في أفغانستان وإخراجهم منها خدمةً للمصالح الأمريكية في النهاية، من أجل أن لا

يكون للسوفييت موطئ قدم بالقرب من منابع النفط في الخليج العربي. وهناك عشرات المواقف التي خدمت فيها الدول العربية الولايات المتحدة الأمريكية.

إلا أن كل هذه المواقف لم يكن لها صدى لدى الولايات المتحدة الأمريكية من أجل إيجاد حل عادل في حدوده الدنيا للقضية الفلسطينية. والسبب يعود إلى أن زرع هذا الكيان الصهيوني في قلب العالم العربي هو من أجل شلّ حركة العرب ومنع توحّدهم، ولأن الدول العربية تملك من المقومات والمشتركات لا تمتلكها غيرها من الدول، إذ هناك وحدة اللغة والتاريخ والدين والتقاليد وغيرها، إضافة إلى أن هناك قواسم مشتركة ما بين الصهيونية وما يسمى بالإنجيليين المسيحيين داخل الولايات المتحدة بلذات، يجمعهم حقدهم وكراهيتهم للإسلام، وهنا أوضح ذلك بالقول فيما يتعلق بالإنجيليين المسيحيين، والمقصود به ليس الشعب الأمريكي، وإنما هي جماعة دينية متعصبة، وترى في الأهداف الصهيونية منسجمة مع أهدافها.

ولذلك كانت المواقف الأمريكية من قيام الكيان الصهيوني ولحد هذه اللحظة انحيازًا لهذا الكيان، وعلى حساب الشعب الفلسطيني خاصة، والعالم العربي عامة. وبوصول الرئيس ترامب إلى الرئاسة الأمريكية مرة ثانية، انكشف الوجه الحقيقي للمنظومة السياسية الأمريكية، والمتمثلة بالوقوف إلى جانب الكيان الصهيوني بكل الوسائل الممكنة والدعم المادي والعسكري والمعنوي، ومنع اي ادانة له من قبل المجتمع الدولي بما فيها إدانة الدول الغربية أو الأوروبية الأخرى، التي كانت تقف باستمرار مع هذا الكيان، لذلك واهم من يتصور ان الولايات المتحدة الامريكية تسعى الى اقامة سلام عادل في الشرق الاوسط، وذلك للاسباب الاتية:

- ان الولايات المتحدة الأمريكية طرف منحاز الى الكيان الصهيوني.
- هناك اهداف مشتركة للولايات المتحدة مع الكيان الصهيوني في المنطقة.

ان السلام بيد طرف قوي مدعوم من قوة عظمى وطرف ضعيف ليس سلاماً وانما هو فرض ارادة القوي على الضعيف، وهذا النوع من السلام وأن تحقيق فهو لا يدوم.

إن السلام الحقيقي يتحقق بين قوتين متكافئتين، أو من خلال توازن القوى، مثلما حصل السلام في أوروبا بعد معاهدة فيينا عام ١٨١٥، إذ تكافؤ وتوازن القوى الأوروبية هو الذي ساهم في تحقيق السلام في أوروبا إلى أن اختل فيها بعد ذلك واندلعت الحرب العالمية الأولى (١٩١٤-١٩١٨)، كذلك السلام الذي تحقق بين القوتين العظميين (الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتي) بعد نهاية الحرب العالمية الثانية عام (١٩٤٥).

حصل هذا السلام بسبب توازن القوى وتوازن الرعب بين هاتين القوتين العظميين ان السلام الفعال والحقيقي يولد الأمان، ولا أمان بدون ردع وإذا كان العرب لا يمتلكون وسائل الردع فلا أمان لهم، وبالتالي لا سلام. ولنوضح هنا كيف ان العالم والعرب بشكل خاص يعيشون وهم السلام في الشرق الأوسط.

لقد طرح الرئيس ترامب مفهوم السلام عبر القوة. فأي سلام يتحقق عبر القوة، وهنا نعود للقول بأن هذا معناه فرض إرادة القوي على الضعيف.

ان الولايات المتحدة الامريكية تريد شرقاً اوسطا مهما اختلف مسمياته، لا حياد فيه وإنما شرق اوسط يصمم في واشنطن ويفصل بما يضمن التفوق النوعي للكيان الصهيوني، ويدار عبر توازنات ضعف لا توازنات قوة، اما الأمن والازدهار والاستقرار فهي نسبية وليس مطلقة للدول العربية، ومخرجات هذه المفاهيم يجب ان تصب لصالح الكيان الصهيوني بالنتيجة.

ان مشاريع السلام بالقوة الامريكية في الشرق الأوسط يجب ان تحقق الآتي: امن الكيان الصهيوني اولاً، منع ظهور قوة إقليمية منافسة، ضبط الفوضى لا إنهائها، إدارة الأزمات بدل حلها جذريا. ومشاريع السلام الأمريكية هذه تلبية لرغبات الكيان الصهيوني لجعل الشرق الأوسط ضعيفاً بحيث يكون مجزأ وهشا وقابلا للإدارة والضغط ومنصاعا لأرادتها وذلك لأن اي دولة قوية ومستقرة وذات قرار سيادي تتحول تلقائيا إلى مشكلة استراتيجية محتملة حتى لو لم تكن عدوة ومن اجل تحقيق الولايات المتحدة الأمريكية هذا الضعف وإداراته فهي تعمل على تفكيك التوازنات الداخلية، تضخيم التحديات الفرعية، إبقاء الصراعات دون حسم، منع التكامل الإقليمي الحقيقي، تشجيع التطبيع الفردي لا الإقليمي. إذن القوة هنا ليست في إسقاط الدول وإنما الأهم في منعها من النهوض.

ونفهم من ذلك ان الشرط الأساسي لمشاريع السلام الامريكية هي أن يبقى الكيان الصهيوني القوة العسكرية والنووية والاقتصادية المتفوقة في المنطقة بدون منازع. وأي مشروع لا يهدد هذا التفوق فهو مسموح، ووممكن ادارته أو احتوائه وأي مشروع يهدد هذا التفوق فيعطل أو يحاصر أو يضرب.

اما الحديث عن الازدهار والتنمية لدول المنطقة فهي محدودة، إذ يكون لها نمو اقتصادي غير سيادي وتنمية لا تتحول إلى قوة سياسية أو عسكرية مستقلة. فأي ازدهار هذا منزوع السيادة.

ان النتيجة التي نصل اليها ان الهدف الأمريكي الصهيوني من الشرق الأوسط الجديد هو ليس مشروع ازدهار شامل وإنما هو مشروع إدارة تفوق لا بناء شراكة، وان الكيان الصهيوني يرى في ضعف الآخرين شرطا، وأن الولايات المتحدة الأمريكية ترى في ذلك ضماناً لنظام إقليمي يمكن التحكم به. وفي سياق متصل ادعى الرئيس ترامب بتاريخ ٩ شباط (فبراير) ٢٠٢٦ من أن تدمير ما وصفه (السلاح النووي الإيراني) كان سبباً في تحقيق السلام في الشرق الأوسط،

قائلا: لو لم نفعل ذلك، لما كان هناك سلام، لأن الدول العربية لم تكن قادرة على مواجهة ايران، وكانت تخاف منها كثيرا. وختم تصريحاته بالتأكيد على أن (ايران دولة صعبة).

وفي الختام لابد هنا من القول من ان دول الشرق الأوسط اغفلت الخطر الوجودي لها وانشغلت بخلافاتها الثانوية، والتي هي في الأساس خلافات ضيقة-مصلحية-آنية- عقائدية، وهذه جميعها لا تشكل شيئا أمام الخطر الوجودي الذي يداهمها من الكيان الصهيوني وحليفتها الولايات المتحدة الأمريكية وعلى جميع هذه الدول مراجعة الذات لتشخيص الإخفاقات وتعديل المسار.